

# الكَيْدُ الْأُمَوِيُّ فِي أُسْرِ نِسَاءِ الرِّسَالَةِ



## الهدف:

التعرّف على معنى السبي وتاريخه وموقف الإسلام منه، ومواجهة السيدة زينب عليها السلام للطفاة.

## مباحث الموضوع

- الجذور التاريخية لظاهرة السبي  
- موقف الإسلام من السبي  
- أهداف الأمويين من أسر نساء الرسالة عليهن السلام  
- السيدة زينب عليها السلام في مواجهة الطفلة

## تصدير:

قالت زينب عليها السلام في خطبتها الشهيرة في مجلس الطاغية يزيد: «... فكذ كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا...»

## الافتتاح:

يُروى سهل بن سعد الساعدي: أقبلت على علي بن الحسين عليهما السلام وقلت له: مولاي هل لك من حاجة؟ فقال لي: هل عندك من الدراهم شيء؟ فقلت: ألف دينار وألف ورقة. فقال: خذ منها شيئاً وادفعه إلى حامل الرأس وأمره أن يبعده عن النساء، قال سهل، ففعلت ذلك ورجعت إليه وقلت له: مولاي فعلت الذي أمرتني، هل من حاجة أخرى؟ قال: يا سهل هل عندك ثوب عتيق؟ قلت: سيدي ما تصنع به، (أنتم تهدون إلى الناس الثياب الثمينة وتساألني ثوباً بالياً)؟ قال: يا سهل لأضعه تحت الجامعة فإنها أكلت عنقي. قال سهل: فتاولته الثوب، فلما رفع الجامعة سالت الدماء من تحتها. **الجذور التاريخية لظاهرة السبي**

لقد كان السبي ظاهرة موجودة عند الأمم السابقة، ففي شريعة حمورابي كانوا لا يعدون أولاد الرجل من جاريته أولاداً شرعيين، إلا إذا نسبهم إليه، فإذا نسبهم إليه كان لهم حق الإرث، وإلا فلا ميراث،

أنه، أي: السبي، كان منذ مدة ليست بالقصيرة قبل ظهور الإسلام، إذ يروي اليعقوبي في تاريخه قائلاً: (أول من سبى السبائيا من العرب: سبا بن يعرب بن قحطان، وكان اسم (سبأ) عبد شمس، وهو أول ملك ملوك العرب وسار في الأرض وسبأ السبائيا)<sup>(١)</sup>.

## موقف الإسلام من السبي

كل هذه المعاناة والألام حاربها الإسلام ووضع لها قانوناً جديداً يرتكز على حفظ كرامة الإنسان، ولاسيما المرأة مع تقنين عملية الرق القائم على حفظ الحقوق الإنسانية أولاً وكسب الخدمة من الرق المملوك وحفظ حق المالك.

إلا أن هذا الجهد الكبير لم يكن موازياً لتلك الترسبات التاريخية التي ضربت في المجتمع الإنساني سواء كان في أرض الرافدين أو عند أرض النيل أو الرومان وغيرهم.

فقد تعامل الإسلام مع تلك الظاهرة التي وجدها قائمة بين أمم الأرض في تلك المرحلة من تاريخ الإنسانية، لأنه دين واقعي يعطي لكل مشكلة حلاً، فضيق الإسلام هذا الباب، وشدّد في حرمة بيع الحر واسترقاقه، وحصر دائرة الرق فيما

لكنهم يمتقون. والرومان كانوا يعدون أولاد السبائيا عبيداً كأمهاتهم. وكان (اليهود) لا ينسبون ابن الجارية إلى أبيه وإن تهوّد، وجرى (الآشوريون) على حرمان أبناء السبائيا من الميراث إلا إذا لم يكن للأب أولاد من زوجة حرة. وكذلك (البابليون) لم يورثوا ابن الأمة إلا إذا اعترف به أبوه أمام شهود. ولم تسمّ أمة بأبناء الإمام كما سمت مصر، لأن (المصريين) كانوا يسمونهم بأبناء الزوجات الشرعيات، حتى في التريبة والميراث.

## السبي عند العرب القدماء

أما العرب قبل الإسلام فكانوا لا يلحقون أبناءهم من الإماء بنسبهم، فلا يرثون إلا إذا ادعواهم، وأشهدوا على أنهم أوصقوا بهم نسبهم، فإن لم يلحق الرجل ابنه بنسبه استعبده...<sup>(١)</sup>.

فهذا الرصيد التاريخي للسبائيا والسبي والرق قد ضرب في الجزيرة العربية بكل قوة ونشأت حالة طبقية كبيرة في المجتمع العربي تعتمد على الغزو والأسر والسبي كي تروي ظمأ شهوات الرجال، وتطفئ نيران غرائزهم، وإن الوقوف على جذور السبي في الجزيرة العربية يدل على

(١) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين للسيد علي القبانجي: ص ٤٥٥

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ١٩٥

أخذ من طريق الجهاد المشروع، ثم سعى لتحرير الأرقاء بكل ممكن مشروع، ورغب في ذلك ترغيباً ظاهراً بفتحه وتكثيره لمجالات العتق، ككفارة اليمين والظهار والقتل، مع حثه وتأكيده على الإحسان إلى الرقيق وتعليمهم وتأديبهم وإكرامهم وإعانتهم.. ونهج في القضاء على هذه الظاهرة طرقاً كثيرة ولو استقام المسلمون على المنهج التام للإسلام لاخفى الرق وقضى عليه في البشرية كلها.

### أهداف الأمويين من أسر نساء الرسالة

يقع هدف أسر النساء والأطفال بعد معركة كربلاء ضمن السياسات الأموية البغيضة عبر التاريخ، والقاضية بالثار من بني هاشم، والقضاء المعنوي والمادي على سلالة رسول الله ﷺ، وعدم تمكينهم من الحكم، أو حتى من العيش بأمان وراحة بين أصحابهم وأهلهم، ولهذا فإن ما حصل من جرائم في كربلاء، وبعد كربلاء يقع في هذا السياق. فإن العمل الذي قام به عبيد الله بن زياد بعد يوم كربلاء كان أمراً له مقاصده السياسية، ولم يكن المطلوب منه أو المقصود منه أن تكون النساء مملوكات. لذلك يُحفظ على لفظ السبايا، فلقد كان هناك عمل سياسي ومقاصده السياسية واضحة.

**الأماكن التي مر ووقف فيها موكب الأسرى:** ويتضح هذا الهدف أكثر عندما نتأمل في مسير أسارى أهل البيت (عليهم السلام)، فلم يكتفوا بأخذهم إلى الشام، فظافوا بهم في البلدان إلى أن يصلوا بهم إلى عاصمتهم الشام، ليراهم كل إنسان مكشفات الوجوه وفي أيديهم الأغلال والسلاسل. فكان مسير بنات الرسالة التفصيلي من كربلاء إلى الكوفة

جنوباً من ثم القادسية بعدها شمالاً إلى تكريت و الموصل، ثم غرباً عبر جبل سنجار، ثم منطقة الجزيرة في الشمال السوري، و بعدها إلى حلب، حماة، بعلبك في لبنان وصولاً إلى دمشق في سوريا.

### ويروي المؤرخون: لما أدخلوا

الرؤوس والسبايا في دمشق الشام، أمر يزيد فزيّنت داره بأنواع الزينة، وأوصلوا الرؤوس والنساء وقت الزوال إلى باب يزيد، فأوقفوهم ثلاث ساعات ليأذن لهم يزيد بالدخول، بعد ذلك أدخلوا بنات رسول الله ﷺ وحريمه عليه.

### السيدة زينب (عليها السلام) في مواجهة الطغاة:

- لما قال ابن مرجانة سائلاً عنها، فقال: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فأعرضت عنه احتقاراً واستهانة به، وكرّر السؤال فلم تجبه، فأجابته إحدى السيدات : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فقال لها: الحمد لله الذي فضحك وقتلكم، وأبطل أهدوثكم. فأجابته (عليها السلام) بشجاعة أبيها محترمة له قائلة: «الحمد لله الذي أكرمنا بنيه، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا بن مرجانة».

### المواجهة مع رأس الظلم:

لما وصلت قافلة الأسرى إلى مجلس الطاغية يزيد بن معاوية في الشام... وأظهر الطاغية فرحته الكبرى بإبادته لعنة رسول الله ﷺ وأخذ يهز أعطافه جذلانا وراح يترنم هذه الأبيات التي مطلعها:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدِ شَهِدُو

جَزَعِ الْخَرْجِ مَنْ وَقَعَ الْأَسْلُ

ولمّا سمعت العقيلة هذه الأبيات

ألقت خطبتها الشهيرة بفصاحة

وشجاعة أبيها علي (عليه السلام) وقد ضمنتها أعنف المواقف لفرعون عصره يزيد ومما قالتها (عليها السلام) :

- (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ،

صَدَقَ اللَّهُ كَذَلِكَ يَقُولُ: «ثُمَّ كَانَ

عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُوا السَّوْءَ أَنْ كَذَبُوا

بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ»...

- وَلَئِنْ جِئْتَ عَلَيَّ الدَّوَاهِي

مُخَاطِبْتِكَ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ،

وَأَسْتَغْطِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسْتَغْنِي

تَوْبِيخَكَ، لَكِنَّ الْعُيُونَ عَبْرِي،

وَالصُّدُورُ حَرِي. أَلَا فَالْعَجَبُ كُلِّ

الْعَجَبِ لَقَتَلِ حِزْبِ اللَّهِ النُّجَبَاءِ

بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطُّلُقَاءِ.

- أَمِنَ الْعَدْلُ يَا بَنَ الطُّلُقَاءِ

تَخْدِيرُكَ حَرَائِكَ وَأَمَاءَكَ وَسُوقَكَ

بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا؟ قَدْ هَتَكَتِ

سُتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتِ وُجُوهَهُنَّ،

تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بِلَدٍ إِلَى

بِلَدٍ.. وَيَنْصَحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ

وَالْبُعِيدُ..

- أَلَلَّهُمْ خُذْ بِحَقِّنَا، وَأَنْتَقِمَ

مِمَّنْ ظَلَمْنَا، وَأَحْلِلْ غَضَبِكَ بِمَنْ

سَفَكَ دِمَاءَنَا وَقَتَلَ حِمَانَنَا. فَوَاللَّهِ

مَا فَرَيْتِ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا حَزَزْتَ إِلَّا

لِحْمِكَ، وَلْتَرِدْنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بِمَا تَحَمَلْتِ مِنْ سَفْكَ دِمَاءِ ذُرِّيَّتِهِ،

وَأَنْتِهِكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عَثْرَتِهِ

وَلَحْمَتِهِ..

- توبيخ الطاغية أمام

أعدائه: ومما قالته العقيلة في توبيخ

يزيد: «... فَكَيْدُ كَيْدِكَ، وَأَسْعُ سَعْيِكَ،

وَنَاصِبُ جَهْدِكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمَحُونُ

ذِكْرَنَا، وَلَا تَمِيتُ وَحِينًا، وَلَا تَدْرِكُ

أَمَدَنَا، وَلَا تَرْحُصُ عَنَّا عَارَهَا...».

